

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[493] هذه الآيات تأكيد على ما مرّ في الآية 159 بشأن كتمان الحقّ. وهي – وإن كانت تخاطب أحبار اليهود – لها مفهوم عام، لا تقتصر – كما ذكرنا مراراً – على سبب نزولها. فسبب النزول – في الواقع – وسيلة لبيان الأحكام الكلية العامة، ومصادق من مصاديق الحكم الكلي للآية. فكل الذين يكتمون أحكام الأ وما يحتاجه النّاس من حقائق طلباً للرّئاسة أو الثروة، قد ارتكبوا خيانة كبرى، وعليهم أن يعلموا أنهم باعوا حقيقة نفيسة بثمن بخس، وهي تجارة خاسرة. الآية الأولى تقول: (إِنَّ السّٰذِیْنَ یَكْتُمُونَ مَا أُنزِلَ إِلَیْهِمْ مِنَ الْكِتَابِ وَیَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا یَأْكُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ). هذه الهدايا والعطايا التي ينالونها من هذا الطريق نيران محرقة تدخل بطونهم. هذا التعبير يوضح ضمناً مسألة تجسيم الأعمال في الآخرة وتدل على أن الأموال المكتسبة عن هذا الطريق المحرّم، هي في الواقع نيران تدخل في بطونهم وستتجسّم بشكل واقعي في الآخرة. ثم تتعرض الآية إلى عقاب معنوي سينال هؤلاء أشدّ من العقاب المادي، وتقول: (وَلَا یُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ یَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا یُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ فِيهَا عِزَابٌ أَلِیْمٌ). وفي موضع آخر ذكر القرآن مثل هذا اللون من العقاب لأولئك الذين ينكثون عهد الأ من أجل مصالح تافهة، فقال: (إِنَّ السّٰذِیْنَ یَشْتَرُونَ بِعَهْدِهِمْ إِلَّا وَآیٰمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِی الْآخِرَةِ وَلَا یُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا یَنْظُرُ إِلَیْهِمْ یَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا یُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ فِيهَا عِزَابٌ أَلِیْمٌ) (1). يستفاد من هذه الآية والآية التالية أن واحدة من أعظم المواهب الإلهية في الآخرة أن يكلم الأ المؤمنین تلطفاً بهم. أي إن المؤمنین سينالون في الآخرة نفس _____ 1 – آل عمران، 77.